عليه وسلم ودعظه وابطاله انما هو لما سلف لهم من اشتراط الولا لانفسهم
مع صدور العتق عن غيرهم والولا انما يكون لمن اعتق ووجه ثان وهو
ان قوله عليه الصلاة والسلام اشترطي لهم الولا ليس على معنى الامر
بل على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيانه
صلى الله عليه وسلم لهم ولغيرهم قبل ذلك ان الولا لمن اعتق فكانه
قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع على حد قوله
تعالى اصبروا او لا تصبروا والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخه
صلى الله عليه وسلم لهم في دعظه وقوله ما بال رجال يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله دليل على تقدم علمهم بذلك ووجه
ثالث وهو ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولا
اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته وهي ان الولا انما هو لمن
اعتق ثم قام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك مبينا لما قدمه موبخا لهم
على مخالفتهم ما تقدم لهم بيانه فان قلت فما تاويل فعل يوسف
عليه الصلاة والسلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه
باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون
ولم يسرقوا قلت قال القاضي الاية تدل على ان فعل يوسف
عليه الصلاة والسلام كان عن امر من الله تعالى لقوله تعالى كذلك
كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله الاية
واذا كان كذلك فلا اعتراض كاينا ما كان اذ لا يسال تعالى عما يفعل وهم
يسالون وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس
فكانت توابعه بعد ذلك وسايل لجلب المصالح ودفع المضار واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف حتى يلزم عنه جواب على
انه يمكن ان قايله عول على صورة ظاهر الحال ولو سلم انه قاله بعلم يوسف
عليه الصلاة والسلام فلعل وجه اقرار يوسف عليه الصلاة والسلام
لما فعلوه قبل بيوسف من القايهم اياه في غيابة الجب وبيعهم له
وهو تكليف ولا يذهب عليك انه لا يجوز ان يتقول الانبيا ما لم يثبت
انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات
غيرهم فان قلت فما تاويل قوله صلى الله عليه وسلم في عيينة
ابن حصن لعايشة وقد اراد الدخول عليه بيس اخو العشيرة
فلما دخل عليه الان له القول وضحك معه فلما سالته عليه
الصلاة والسلام ان يظهر خلاف ما يبطن ويقول من خلفه مثل ذلك
القول وهو غيبة قلت اجيب بان فعله عليه الصلاة والسلام
ذلك كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل
في الاسلام بسببه اتباعه ومن كان على شاكلته وحينيذ فقد
خرج هذا الفعل عن حد مدارات الدنيا الى السياسة الدينية

واما قوله

واما قوله بيس اخو العشيرة فليس بغيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم
يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وقد
كان عيينة بن حصن مطاعا في قومه محببا اليهم ومثل هذا اذا كان
له مع مضرة لم يكن غيبة بل كان جايزا بل واجبا في بعض الاحيان كما
جرت به عادة المحدثين من تخريج الرواة والمتكلمين في تزكية الشهود
فان قلت ما الحكمة في اجرا الامراض وشدتها عليهم صلى الله وسلم
عليهم وما الوجه فيما ابتلاهم الله تعالى وامتحنهم به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
مع كونهم خيرته من خلقه واحباوه واصفياوه قلت يجب عليك ايها
الاخ في الله تعالى ان تعلم ان افعال الله كلها عدل وكلماته
جميعها صدق لا مبدل لكلماته وانه تعالى لا يسال عما يفعل فله
ان يبتلي عباده بما شا وكيف شا لننظر كيف تعملون
وايكم احسن عملا وليعلم الذين امنوا منكم ويعلم الصابرين
ونعلم المجاهدين والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه تعالى
اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم
والتوكل والتفويض والدعا والتضرع منهم وتاكيد لبصايرهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتسلية لهم ممن
نزل به مثل ما امتحنوا به ويقتدي بهم اهل الفتنة ومحو
لهنات فرطت منهم وغفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى
طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل
ولو لم يكن من فوايد الابتلا والامتحان الا ما ترتب على فعل
النبي الاعظم والمتبوع المقدم والحبيب الاكرم من معرفة
احكام السهو في الصلاة واحكام الصلاة في الخوف والمسايفة
واحكام الصلاة في المرض واحكام الاكل والشرب والجماع واللباس
ونقل كل واحد منه شمايله لكفى على ان ما عساه ينقل عنه
الاخرى من احكام الحيض والنفاس لكان غاية المطلوب ونهاية
المرغوب كيف ومن اجل فوايد الامتحان بيان انهم مخلوقون
لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا
دفعا لما عساه يتوهم فيهم حين ظهرت على ايديهم خوارق
العادات بفضل فاطر الارض والسموات من الملايكة
او الالوهية كما وقع في تلك الورطة النصارى وكفار العرب
حتى استعظموا اكله الطعام ومشيه في الاسواق واظهار
خسة الدنيا عند الله تعالى حيث لم يرضها دار خلود لاحبابه
واصفيايه ولم يرض لهم فيها ببسطة العيش وصحة الجسم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)